الأسس الفلسفية لإبستمولوجيا العلوم الإجتماعية والإنسانية

Philosophical foundations of the epistemology of social and human sciences

1.محمد مسيكة، Mohamed Messika ،جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- MESSIKA.MOHAMED@UNIV-OUARGLA.DZ
مخبر علم النفس المعرفي والاضطرابات السوسيو العاطفية جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 03/أفريل/2021 تاريخ القبول: 16 /ماي/2021

ملخص:

يعالج المقال، الأسس الفلسفية والنقدية للعلوم الإجتماعية والإنسانية وتهدف إلى البحث عن الجانب الفلسفي والإبستمولوجي للعلوم الإجتماعية والإنسانية، وإبراز المرتكزات الفلسفية التي قامت عليها العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، وتهدف إلى كشف الجوانب الاجتماعية في مشروع المعرفة، فالإبستمولوجيا الاجتماعية بإعتبارها بحثًا فلسفيًا معياريًا عن المعرفة بوصفها إنجازًا جماعيًا، لهذا كانت هذه الدراسة في البحث عن التأصيل الفلسفي للعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية قصد إجراء دراسات معرفية في بنية تشكُل هذه العلوم.

كلمات مفتاحية: الأسس،.الفلسفية،.الإبستمولوجيا،.العلوم الإجتماعية،.العلوم الإنسانية..

Abstract:

The article deals with the philosophical and monetary foundations of social and human sciences and aims to find the philosophical and physiological side of social and human sciences, and to highlight the philosophies on which social sciences and humanities were based. It aims to reveal the social aspects of the knowledge project. Social fraternalism is considered a normative philosophical research on knowledge as a collective achievement. This study was aimed at finding philosophical fundamentals of social sciences and human sciences in order to carry out knowledge studies in this structure Science..

Keywords: *foundations; philosophy; epistemology; social sciences; human sciences.*

مقدمـــة:

بعد انفصال العلوم عن الفلسفة، حاولت العلوم الإجتماعية والإنسانية، الإقتداء بالعلوم الأخرى في الانفصال عن الفلسفة وتطبيق المناهج العلمية على الظواهر الاجتماعية والإنسانية، بإعتبارها ظواهر قابلة للدراسة العلمية وخاصة بعد النجاح الذي حققته العلوم الطبيعية والفيزيائية بتطبيقها المنهج التجريبي ،حتى اتصفت هذه العلوم الأخيرة بالدقة والموضوعية (نسيبا) على غرار العلوم الأخرى.

وبعد تأكد محاولة الانفصال من خلال محاولات علماء الاجتماع والعلوم الإنسانية ،حتى تبلور وجود مفهوم قائم على أسس علمية للعلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية معترف به .ولكن بقية هذه العلوم محل شك لإفتقادها للروح العلمية بسبب صعوبات في تطبيق المنهج على الظواهر الإنسانية،كما أنها بقيت تحمل جذور فلسفية تأسست عليها، وهذا ما جعل بعض الشكوك تحوم حولها بسبب تأخر إنفصالها عن الفلسفة. من خلال هذا الطرح سنحاول التركيز على تلك الأسس الفلسفية لإبستومولوجيا العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية التي قامت عليها وإظهار الصعوبات الابستمولوجية التي أخرت تكون المفهوم العلمي للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

- **طرح الإشكال العام:**

ما هي الأسس الفلسفية التي قامت عليها إبستيمولوجيا العلوم الإجتماعية والإنسانية ؟

تتمحور إشكالية هذا البحث ،حول الأسس الفلسفية التي قامت عليها العلوم الإجتماعية والإنسانية ومحاولة فهم الأسس التي شكلت هذه العلوم حتى بعد إنفصالها عن الفلسفة ،وأصبحت من العلوم التي تعتمد على المناهج العلمية للحصول على أعلى درجات الدقة والموضوعية ،مثلما حصل للعلوم الطبيعية والفيزيائية التي انتهجت هذا المسار قبل العلوم الإجتماعية والإنسانية.

- **أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على العلوم الإجتماعية والإنسانية من حيث هي كمفهوم ،كما أن الهدف الأساسي في هذه الدراسة هو البحث عن الأسس الفلسفية التي قامت عليها العلوم الإجتماعية والإنسانية ،حتى بعد إنفصالها عن الفلسفة ،كما أن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز دور العلوم الإجتماعية والإنسانية وارتباطها بالإنسان ،دون العلوم الأخرى التي لا تُعنى بالإنسان وعلاقته مع نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه.

- **منهج الدراسة:**

ولتحقيق الأهداف المرجوة، كان علينا إتباع المنهج التحليلي لصياغة الدراسة بشكل يتماشى مع الطرح العام للموضوع.

1- ضبط المفاهيم العامة وتصورات الدراسة:

1-1- قبل أن نستهل في معالجة الإشكال العام للمقال ،جاز لنا أن نعطي تعريفا موجزا للمفاهيم الموجودة في المقال (الابستومولوجيا ،العلوم الاجتماعية ،العلوم الإنسانية) ،حتى يتضح لنا التصور العام للموضوع.

أ)- الإبستمولوجيا :

إن كلمة épistémologieالتي تعني حرفيا théorie de science(نظرية العلم)، كلمة قريبة العهد. فهي لا توجد في معجم Littré ولا في nouveau Larousse illustre، وأما le dictionnaire robert فإنه يرجع ظهورها في المعاجم الفرنسية إلى ذيل المعجم Larousse illustre لسنة 1906. وحوالي هذا التاريخ نفسه ، عند تأليف معجم

vocabulaire de philosophie Lalande فإن (جول لاشوليي jules Lachelier) كان ما يزال يعتبرها كلمة مستحدثة يؤسف لها.[1]

فالإبستمولوجيا مصطلح مركبة من كلمتين يونانيين هما:

- **الإبستمي (épistème)** :ومعناها : علم
- **اللوغوس (logos)** :ومن معانيها علم ،نقد ،نظرية ،وقد يدل على المنهج.

فالإبستمولوجيا ،إذا ،من حيث الإشتقاق اللغوي هي علم العلوم ،ويعني هذا العلم المعرفة.[2]

ويعرفها أندري "لالاند André Laaland ": على أنها الدراسة النقدية للمبادئ والنتائج الخاصة بالعلوم تهدف لمعرفة أصولها المنطقية ، قيمتها و ثقلها الموضوعي.

ويتضح لنا من التعريف السابقة ،أن الإبستمولوجيا تهتم بالمعرفة العلمية من حيث دراستها ونقدها ، فهي دراسة شاملة لنواحي تشكل العلوم عبر تاريخها وتطورها النقدي أيضا.

1-2- مفهوم العلوم الإجتماعية والإنسانية:

يشير مصطلح العلوم الاجتماعيّة إلى أي فرع من فروع العلوم الذي يتعلّق بالسلوك الإنساني والذي يشمل جوانبه الاجتماعيّة والثقافيّة، ويستخدم أحياناً للإشارة إلى علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، والتاريخ، والقانون، وغالباً يضم الجغرافيا الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

تعود العلوم الاجتماعيّة إلى الأصول الإغريقيّة واليونانيّة القديمة، وتعتبر تراثاً قويّاً في تاريخ الفكر الاجتماعي بسبب استفساراتهم العقلانيّة عن الطبيعة البشريّة والدولة والأخلاق، مع العلم أنّه كان هناك فترات زمنيّة طويلة التي كانت تفتقر إلى العلوم الاجتماعيّة، إلّا أنها أصبحت فيما بعد جوهر عصر النهضة والتطوير في التاريخ الأوروبي الحديث، بحيث استُعيد هذا الاتجاه من خلال نصوص الفلاسفة الكلاسيكيين العظماء.[3]

واحدة من علامات تأزم هذه العلوم عندنا هو الغموض الشديد وعدم اتضاح الرؤية حول تعريف هذه العلوم إلى غاية اليوم بين المشتغلين بها، ويمكننا مقاربة العلوم الاجتماعية مقاربة أولية على أنها ذلك الحقل المعرفي الذي يهتم بدراسة الإنسان في تفاعلاته الاجتماعية على مختلف الأصعدة في علاقته مع إنسان آخر أو جماعة أو مؤسسة أو دولة، أو حتى في تعامله مع موارده المادية لأجل صياغة اطر تفسيرية عامة ومجردة تمكننا من الفهم والتنبؤ والتحكم والتوجيه والتكيف.

حسب قاموس العلوم الاجتماعية، فان العلوم الإنسانية والاجتماعية هي«مجموع العلوم التي تدرس الإنسان داخل المجتمع، بحيث لا يمكن تصور إنسانا لوحده ولا مجتمع من دون بشر».[4]

إن العلوم الإنسانية والاجتماعية هي تلك المجموعات من المعارف أو الخطابات التي يكون موضوعها الإنسان بما له من خاصية تجريبية وواقعية فردا أو جماعة، فإذا كانت المعارف الكلاسيكية لم تعرف مفهوم الإنسان إلا على مستوى فلسفي أو محض ميتافيزيقي، وأن نظام التجريبية الذي كان سائدا يحكمه مفهوم الخطاب، فإن مع الابستيمية الحديثة ونظامها التجريبي ظهر مفهوم الإنسان المحايث في الواقع الاجتماعي، وفي الصيرورة التاريخية، وفي التمثلات السيكولوجية، وعلى أساسه ظهرت العلوم الإنسانية والاجتماعية، هذه العلوم لم ترث حقلا معينا مرسوم المعالم، بل ظهرت يوم فرض الإنسان نفسه في الثقافة الغربية، باعتباره هو ما يجب التفكير فيه وبه، وهو ما يجب أن يعرف في آن معا ،ومن ثمة أصبحت هذه الخطابات حول الإنسان والمجتمع تنزع نحو العلمية، ومدعاة لها بقدر ما

تتوفر على مناهج وموضوعات وغايات، بما هي الشروط العلمية والموضوعية لكل علم قائم بذاته أو ممكن أن يصير كذلك. (5)

يميز بعض العلماء بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، في حين أن البعض الآخر لا يرى ذلك فنحن إزاء موقفين مختلفين.

فالموقف الأول، يرى أن الفصل بين المفهومين غير ذي جدوى، لأنه لا يمكن تصور إنسان خارج المجتمع ولا يوجد مجتمع من دون بشر، ومن بين هؤلاء **كلود ليفي ستراوس Claude Levi Strauss** ،الذي يرى بان هناك ترادف بينها، فالتمييز بينهما يكون من الناحية التطبيقية فقط، فالعلوم الاجتماعية تهتم بالمظهر الملموس والمهني للنشاط البشري، في حين أن العلوم الإنسانية تتخذ موقعها خارج أي مجتمع بعينه، أي أنها تدرس المجتمع بغض النظر على وجوده الواقعي في أي رقعة جغرافية ما، وهي تتبع هنا سبيل العلوم الطبيعية، وهي التي تتجاوز المظاهر في مقارباتها للواقع، هادفة بذلك فهم العالم.

أما أصحاب **الموقف الثاني** فيرون أن العلوم الإنسانية تدرس الإنسان من حيث كونه إنسان بغض النظر عن انتمائه لمجتمع بعينه، في حين أن العلوم الاجتماعية تدرس الإنسان داخل المجتمع، فتركز على مكانته وأدواره المختلفة داخل المجتمع

وبشكل عام، فإن التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ضرورة منهجية لتحديد المجالات العلمية التي تدرس الإنسان من حيث أصوله وثقافته وانجازاته،في حين إن العلوم الاجتماعية تضم كل الفروع العلمية التي تدرس نشاطات الإنسان داخل المجتمع سواء تعلق الأمر بالأنشطة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو التربوية. (6)

إذاً فمصطلح **العلوم الاجتماعية** فهو الأقرب لأن يكون مرادفا لمصطلح **العلوم الإنسانية** ،فالإنسان مهما يكن من تنوع سلوكه وتفرده لا بد أن يكون منضوياً في سياق إجتماعي. (7)

ج) - الإبستمولوجيا الاجتماعية : (تحديد المفهوم الفلسفي)

الإبستمولوجيا الاجتماعية فرع حديث من فروع نظرية المعرفة. ظهر بصورة واضحة بوصفه مبحثًا فلسفيًا واضح المعالم والمشكلات والاتجاهات في عام 1987. وتدرس الإبستمولوجيا الاجتماعية المعرفة من وجهة نظر اجتماعية، وتهدف إلى كشف الجوانب الاجتماعية في مشروع المعرفة مثل دراسة الخصائص المعرفية للأفراد التي تنشأ من علاقتهم بالآخرين، إلى جانب الخصائص المعرفية للجماعات أو الأنظمة الاجتماعية. وإن شئت تعريفًا مقاربًا للإبستمولوجيا الاجتماعية فقل هي دراسة مفهومية ومعيارية للأبعاد الاجتماعية للمعرفة.

ولمّا كانت الإبستمولوجيا الاجتماعية بحثًا فلسفيًا معياريًا عن المعرفة بوصفها إنجازًا جماعيًا، فإنها تختلف عن الإبستمولوجيا التقليدية في مركز البحث. جعلت الإبستمولوجيا التقليدية مركز بحثها هو الفرد، والاختبار النهائي لليقين لا بد من أن يوجد في الوعي الفردي، ولذلك كانت الصفة الفردية أخص ما تمتاز به هذه الإبستمولوجيا التقليدية. وعلى العكس، تفحص الإبستمولوجيا الاجتماعية الأبعاد الاجتماعية وبين الشخصية للمعرفة. خذ مثلًا يوضح هذا الاختلاف الجوهري. تأمل الإبستمولوجيا التقليدية في صورتها الديكارتية أو في الصورة التي قدمها الغزالي في المنقذ من الضلال، تجد أنها تبحث ما يمكن أن يعرفه الشخص المنعزل، أو يكون مسوغًا في الاعتقاد به بمفرده تمامًا. فمركز المعرفة عند ديكارت مثلًا هو الفرد القائم بذاته. وما دام العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس، كان في استطاعة كل فرد أن يبحث عن المعرفة بنفسه، ولا يسلم بآراء الآخرين ولا ينتظر عوناً معرفيًا من أي شخص آخر،

وكيف ينتظر عونًا من الآخرين ووجودهم الحقيقي يعد أمرًا إشكاليًا على الأقل في بداية البحث المعرفي؟ ومعنى هذا أن تقييم المواقف الإعتقادية للأفراد مثل الاعتقاد أو الإنكار يأتي بمعزل عن بيئاتهم الاجتماعية الأمر الذي أدى إلى تشويه الوضع المعرفي الإنساني الذي تشكله العلاقات، والمصالح، والمؤسسات الاجتماعية. ومن هنا جاءت الإبستمولوجيا الاجتماعية لتتمّم هذا النقص وتكمل هذا الجانب من خلال طرح أسئلة مركزية مثل هل المعرفة خاصية للعارفين بمعزل عن وضعهم الاجتماعي؟ أم أنها تتضمن علاقة بين العارفين وظروفهم الاجتماعية؟ وإذا كان اكتساب المعرفة ليس مسألة فردية وإنما مسألة اجتماعية، فما أثر الشروط الاجتماعية (أي العلاقات، والمصالح، والمؤسسات والنظم الاجتماعية) في الشروط المعرفية؟

وإذا كنت قد أشرت إلى التمييز بين الإبستمولوجيا الاجتماعية والإبستمولوجيا التقليدية، فإني أراني في حاجة إلى التنبيه على تمييز آخر أكثر أهمية بين الإبستمولوجيا الاجتماعية وعلم اجتماع المعرفة. الإبستمولوجيا الاجتماعية دراسة "مفهومية ومعيارية" للشروط الاجتماعية الضرورية والممكنة للمعرفة. أما علم اجتماع المعرفة فهو دراسة "تجريبية ووصفية" في المقام الأول للشروط أو الأسباب الاجتماعية "الممكنة" للمعرفة.

أما الموضوعات الأساسية التي تدرسها الإبستمولوجيا الاجتماعية فهي الشهادة؛ الاختلاف، والتنوع، والنسبية المعرفية؛ وإبستمولوجيا العلم؛ وإبستمولوجيا المجموعات؛ وإبستمولوجيا الديمقراطية؛ وإبستمولوجيا التربية؛ الدليل في القانون، ونحو ذلك.[8]

2- علاقة الفلسفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية:

إن الغاية من محاولة إيجاد العلاقة بين الفلسفة والعلوم الإجتماعية ،هي محاولة إبستمولوجية ،تهدف إلى إبراز المفاهيم الفلسفية التي قامت عليها إبستيمولوجيا العلوم الإجتماعية والإنسانية ،فالعلوم الإجتماعية والإنسانية حتى وإن قامت بالإنفصال عن الفلسفة إلا أنها بقية تحمل في طياتها أسس وأصول فلسفية كانت الدعامة الأساسية لقيام العلوم الإجتماعية والإنسانية وترابط موضوعاتها الأساسية.

ومن هذا المنطلق ،لابد لنا أن نحاول إيجاد العلاقة والرابط بين الفلسفة والعلوم الإجتماعية والإنسانية لإستخراج الأسس الفلسفية التي قامت عليها تلك العلوم.

2-1 التأصيل الفلسفي للعلوم الإجتماعية:

- رؤية تاريخية لطبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية:

يكشف لنا تاريخ العلوم الاجتماعية والإنسانية أن ثمّة هناك مراحل وشروط كانت من وراء التأسيس العلمي للعلوم الاجتماعية، من خلال تحديديه لموضوعه بدقّة ولمنهجه. إلاّ أنّ هذا التأسيس سبقته إرهاصات في التفكير الاجتماعي ارتبطت عموما بالتفكير الفلسفي وما عرفه من نظريات واتجاهات.

لكن الاجتماع الإنساني لم يصبح موضوع تفكير علمي إلاّ بعد فترات لاحقة، كانت بدايتها مع **ابن خلدون** الذي نبّه إلى وجود هذا العلم وساهم في تحديد موضوعه من خلال ما صرّح به باكتشافه لعلم مستقلّ أسماه بعلم العمران البشري لم يتكلّم به السّابقون إذ قال: " **وكأنّ هذا علمٌ مستقلٌّ بنفسه، فإنّه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى. وهذا شأن كلّ علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً ". و قال أيضاً: "اعلم أنّ الكلام في هذا الغرض مستحدث الصّنعة، غريب النّزعة، أعثرَ عليه البحثُ، وأدّى إليه الغوص .... ولَعَمري لم أقف على الكلام في منحاه أحدٌ من**

الخليقة، ما أدري هل ألِغفلتهم عن ذلك وليس الظنّ بهم، أو لعلّهم كتبوا في هذا الغرض و استوفوه ولم يصل إلينا."

كما أنّه لم يكتفِ بذلك بل دعا إلى استكمال النظر في هذا العلم و إتمام ما نقص منه و ذلك في قوله:" **ولعلّ من يأتي بعدنا ممّن يؤيّده الله بفكر صحيح وعلم مبين، يغوص في مسائله على أكثر ممّا كتبنا**". لكن ابن خلدون على الرّغم من استشرافه لهذا العلم و أسبقيته إلى التفكير في خفاياه، لم يؤسّس معه جيلا خلدونيا يخلفه ويطوّر ما بدأه و يتمّم ما أسّسه.

إلى أن جاءت لحظة التأسيس لهويّة هذا العلم، حصلت في بيئة غير بيئة ابن خلدون، والتي كانت بدايتها مع نشأة العلم الحديث في أوروبا، وهي نشأة ارتبطت بظروف التحوّل الاقتصادي والاجتماعي والسّياسي والفكري التي عرفها المجتمع الأوروبي. و يمكن القول أنّ تأسيس علم الاجتماع بكافّة اتّجاهاته ونظرياته جاءت استجابة للتطوّرات التي عرفها المجتمع الأوروبي، التي ابتدأت منذ عصر النّهضة إلى نهاية قرن 19م مرورا بعصر الأنوار والثورة الفرنسية، وما صاحبها من ثورات فكرية وعلمية وصناعية تحوّلت معها بنية المجتمع الأوروبي من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث صناعي.[9]

كما أنّ للثّورة العلمية التي حقّقتها العلوم الحقّة، خاصّة الفيزياء والطّبيعيات، كان لها الأثر في توجيه التفكير في القضايا الكبرى التي بدأت تطرحها التحوّلات، والتي أفرزت أفكارا كانت منبرا لأعمال مفكّرين أوائل يُعتبرون من رواد الفكر السوسيولوجي المعاصر. هؤلاء الروّاد استلهموا تصوّراتهم ومناهجهم ممّا حقّقته العلوم الطّبيعية والفيزيائية من نتائج علمية، والتي جعلت أسلوب التّفكير في هذين العلمين، أي الفيزياء والطبيعيات هاجسا حرّك كلّ محاولات التفكير الاجتماعي، للارتقاء به إلى الأسلوب العلمي وتأسيس معرفة علمية اجتماعية ترقى إلى نفس مرتبة الفيزياء أو الطّبيعيات. فكان هذا الهاجس وراء تكوّن تصوّر يجعل من الفيزياء، العلم الأمثل والنموذج الذي على المعرفة الاجتماعية والسوسيولوجيا في بدايتها الأولى، الاقتداء به.

وبذلك تشكّلت نظريات تقوم خلفياتها المعرفية على إقامة تناظر بين السوسيولوجيا والفيزياء أو البيولوجيا، هذا التناظر الذي جعل من بعض النظريات تبحث عن خصائص التشابه بين العالَم الطبيعي والعالم الاجتماعي ،والبحث عن قانون يحكم الظاهرة الاجتماعية على شاكلة الظواهر في العالم الطبيعي أو الفيزيقي.

ومن هذا المنطلق سنحاول تبيين الأسس الفلسفية ومراحل تطور علم الاجتماع داخل الأنساق الفلسفية المختلفة وكيف إستفاد منها ،ومحاولة إظهار العلاقة الموجودة بين الفلسفة وعلم الإجتماع على الرغم من تطوره وانفصاله عن الفلسفة.

عندما تأسس علم الاجتماع الحديث في أوروبا في الربع الأول من القرن التاسع عشر، كان ذلك في معترك الصراع بين تيارات فلسفية متعارضة سبقت وواكبت سقوط النظام الاجتماعي القديم (الإقطاع) وصعود النظام الجديد (المجتمع الصناعي الرأسمالي). تيارات فلسفية سياسية وأخلاقية تنويرية ساهمت في هدم القديم أو مضادة للتنوير روجت للقيم الإجتماعية والأخلاقية للنظام القديم.

لذلك على الرغم من ظهور علم الإجتماع بالشكل الوضعي الغربي الحديث على يد **أوجست كونت** وتلميذه **دوركايم**، ووضع أسس له حددته عن الفلسفة وجعلته مستقلًا عنها، إلا أن علم الاجتماع ظل وثيق الارتباط بالفلسفة. فهو ككل علم له فلسفة علمية تنطوي على المسلمات الأساسية التي ينهض عليها علم الاجتماع، كما

تنطوي على منطق البحث الاجتماعي الذي يصوغ النتائج التي يصل إليها البحث في صورة تعميمات وقوانين وصولًا إلى بناء النظرية الاجتماعية. هذا عدا علاقة التأثير المتبادلة بين الفلسفة وعلم الاجتماع، فعلماء اجتماع مثل **دوركايم وماكس فيبر وكلود ليفي شتراوس وكارل ماركس** أنتجوا تأثيرًا ملموسًا في فلسفة الأخلاق وفلسفة المعرفة. كما أن فيلسوفًا عظيمًا مثل **كانط** أثرت فلسفته المحدثة التي ميزت بين الظواهر الفيزيقية التي يمكن تطبيق مناهج البحث العلمي عليها وبين الظواهر الروحية أو الإنسانية (نفسية واجتماعية وثقافية) التي لا يمكن تناولها بمنهج البحث العلمي، أثرت كما نقول في تطوير ماكس فيبر لمفهوم الفهم التعاطفي بوصفه أداة فعالة لشرح ودراسة الظواهر الاجتماعية.[10]

لقد رفض **ميرلوبونتي** بشدة الفصل بين الفلسفة وعلم الاجتماع ورأى إستحالة إذا كنا نريد فلسفة سليمة وعلم اجتماع صادق ،كما رأى فيه إضعافا لنمط الدراسة من جهة أخرى. إن عالم الاجتماع يمارس الفلسفة في الإطار الذي هو مكلف من خلاله بفهم الظواهر، وليس تسجيلها، وفي لحظة التأويل هذه يتحول عالم الاجتماع إلى فيلسوف. وهكذا أيضا موقف **هوسرل** بشأن الفلسفة وعلم الاجتماع ،ويرى أن الخبرة تقدم لنا (عمليات اجتماعية) و(تكوينات ثقافية) وأشكال للقانون والفن والدين ،ولكن باتصال مع الفلسفة.[11]

كذلك لعبت أفكار **هوبز وجون لوك وروسو ومونتسكيو** الفلسفية دورًا هامًا في التمهيد لتأسيس علم الاجتماع .وبذلك يمكن القول إن الفارق بين الفلسفة وعلم الاجتماع لا يلغي حقيقة انطلاق علم الإجتماع داخل إطار الفلسفة، وأن كثيرًا من الشروحات الفلسفية على مدار التاريخ تمت فيها ولو على استحياء معالجة ظواهر وإشكاليات اجتماعية.

2-2 مبادئ ومميزات العلوم الاجتماعية:

ونهدف في هذا العنصر إلى تبين المبادئ والأسس التي نحدد من خلالها الحقل والمجال الذي تشتغل فيه العلوم الاجتماعية والبنية التي تتركب منها. لهذا سنحاول التركيز على العناصر الثلاثة التالية:

- **إستقلالية علم الاجتماع**
- **موضوع علم الاجتماع**

1) - إستقلالية علم الاجتماع:

إن أول القضايا التي سنتعرض لها في هذا سياق الحديث عن الأسس والمبادئ التي يقوم عليها علم الاجتماع تتمثل في مسألة استقلال هذا العلم عن غيره من العلوم الإنسانية؛ ذلك أن الحديث عن أسس العلم تفترض تمييزه عن غيره من الميادين المعرفية. وفي سبيل الوصول لهذا الغرض نعرض لأهم الشروط التي يجب توافرها في العلم المستقل وبعد ذلك نتحقق من توافرها في علم الاجتماع.

تنقسم المعرفة الإنسانية عموما إلى ثلاثة أقسام هي: **المعرفة الحسية، والمعرفة الفلسفية ثم المعرفة العلمية**. ويقصد بالأولى تلك المعرفة التي تقتصر على مجرد الملاحظة الحسية البسيطة للظواهر باعتماد الحواس الطبيعية التي زود الله بها الإنسان ؛ أما الثانية فتحيل على تلك المعرفة التي يتم إنتاجها عن طريق التأمل الفلسفي العقلي في

القضايا والظواهر وهي غالبا ما تستند إلى المنطق وتتسم بالتجريد؛ أما المعرفة العلمية فهي تقوم على الأسلوب الاستقرائي الذي يعتمد على الملاحظة العلمية، وفرض الفروض، واختبارها وتحليلها من أجل التأكد من صحتها وبطلانها وفق مناهج علمية دقيقة.

وتنقسم المعرفة العلمية بدورها إلى ثلاثة أقسام هي **العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية** وهي العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان من مختلف جوانبه ونشاطاته. وقد حدد العلماء للعلم المستقل ثلاثة شروط أساسية هي:

- وجود طائفة متميزة من الظواهر، يتخذها العلم مجالا للدراسة والبحث.
- خضوع هذه الظواهر لمنهج علمي للبحث.
- إمكانية تعميم النتائج والوصول لطائفة من القوانين والنظريات الخاصة بهذا العلم.

إن هذه الشروط متوفرة في علم الاجتماع بما لا يدع مجالا للشك. فالشرط الأول المتعلق بوجود طائفة من الظواهر الخاصة بعلم الاجتماع قد تأكد لنا توفره من خلال الاستعراض الذي قدمناه لتصور علماء الاجتماع لموضوع العلم وميدانه؛ فرغم بعض الاختلاف الذي يظهر من خلال التعابير المستعملة إلا "أن ثمة نقاطا تمثل ولو هيكلا عاما يتحرك من خلاله علم الاجتماع ويتحدد به موضوعه الأساسي وهو هيكل يشير إلى أن علم الاجتماع هو علم دراسة الإنسان والمجتمع." وهذا يعني أن الظواهر التي يدرسها علم الاجتماع هي الظواهر الاجتماعية أو المجتمعية كما أختار بعض الباحثين أن يسميها. وهذه الظواهر تتميز عن غيرها من الظواهر التي تدرسها العلوم الإنسانية الأخرى بأنها:

أ- اجتماعية: ويفيد مفهوم الاجتماعي هنا أن ما يدرسه علم الاجتماع ليس إنسانا منعزلا، أو قدرات عضلية أو غرائزية، وإنما المقصود بالدراسة هم بشر متفاعلون، بينهم علاقات، ومخرجات لهذه العلاقات.

ب- عامة: والعمومية هنا تفيد أن الوقائع الاجتماعية التي يدرسها العلم هي تلك الظواهر الأكثر تواترا واطرادا في المجتمع البشري.

ج- ضرورية: وما هو ضروري يعني أبعادا في المجتمع، ضرورية للحفاظ على الإنسان ومجتمعه.

وفيما يتعلق **بالشرط الثاني**، أي مدى وجود منهج علمي خاص يتبعه علم الاجتماع، فإننا نجد أن لعلم الاجتماع مناهج متعددة تخضع لها ظواهره، وقد تطورت هذه المناهج حيث كان المنهج التاريخي أول المناهج التي استخدمها علماء الاجتماع (خاصة ابن خلدون) في بادئ الأمر، تلته مناهج أخرى منها المنهج التجريبي، ومنهج دراسة الحالة، والمنهج الإحصائي وغير ذلك من المناهج التي بفضلها أمكن الوصول إلى طائفة من القوانين الاجتماعية. [12]

أما فيما يخص **الشرط الثالث**، فيكفي أن نشير إلى أن علم الاجتماع خلال مسيرته استطاع أن ينتج مجموعة من القوانين الاجتماعية النسبية ومن هذه القوانين ما يلي:

أ - يتحول المجتمع البشري من مجتمع بسيط إلى مجتمع مركب ومن مجتمع مركب إلى مجتمع معقد.

ب - تضعف العلاقات الإنسانية في حالة تقدم المجتمع في الحقول المادية والعلمية والتكنولوجية.

ت - تزداد نسب الجرائم في المجتمعات التي يلعب فيها الدين دورا هامشيا وثانويا.

2)- موضوع علم الاجتماع:

سبق أن بينا في فقرات سابقة أن من أهم قضايا علم الاجتماع التي استأثرت باهتمام رواد هذا العلم قضية الموضوع وما ينبغي أن يدرسه العلم؛ وقد توصلنا إلى أنه رغم بعض الاختلافات في التعبير عما ينبغي التركيز عليه في الدراسة إلا أنه يمكن أن نستنبط اتفاقهم على أن موضوع علم الاجتماع هو كل ما يتصف بصفة الاجتماعي أو المجتمعي. إن علم الاجتماع إذن إنما يمارس فكرته المركزية وحبكة فهمه الخاصة في اجتماع البشر. ويمتد معنى الاجتماعي ليعادل في اتساعه البشرية جمعاء، وفي معنى أقل سعة تساوي هذه الصفة المجتمع ككل. وفي معنى تضيق حدوده أكثر، تطلق تسمية "مجتمعي" على الأشكال الدينية والثقافية والعائلية والاقتصادية والسياسية والمورفولوجية داخل المجتمع . وإلى هذا الاتساع في المشمول بصفة "الاجتماعي" يمكن أن يرجع الاختلاف في تعريفات الرواد لموضوع علم الاجتماع حيث يمكن أن نلخص هذه التعريفات للعلم على أنه:

- علم دراسة السلوك الإنساني.
- علم دراسة التفاعل الإنساني المتبادل.
- دراسة النظام الاجتماعي.
- دراسة البناء الاجتماعي.
- دراسة الأنماط الاجتماعية أو الظواهر الاجتماعية.
- دراسة الاعتماد الإنساني المتبادل.
- دراسة المجتمع الإنساني في استقراره.
- دراسة العلاقات الاجتماعية الموضوعية... إلخ.[13]

إن الذي يميز الاجتماعي بصفته موضوع علم الاجتماع هو أكثر من اجتماع البشر وتجمعهم، أي أن الاجتماعي لا يمثل تجميعا بسيطا للأشخاص وإنما تفاعلهم واحتكاك أفكارهم وميولهم ورغباتهم وما يحيط بذلك من شروط طبيعية وتاريخية يؤدي إلى مركب مجتمعي له سمات مختلفة عن السمات الخاصة بالأفراد.

كيف يبنى الموضوع في علم الاجتماع؟

يقول عالم الاجتماع الفرنسي الشهير **آلان تورين**: "لا يشاهد عالم الاجتماع مسرحية وممثلين يؤدونها، وإنما يساهم في اكتشاف مسرحية، ستكتب يوما، ويلعبها الممثلون، قبل كتابة نصها المسرحي، وأكثر من ذلك، إنه يضم جهوده إلى جهود الممثلين أنفسهم كي يتعرفوا سوية إلى ما يجري على خشبة المسرح." إن هذه القولة من هذا العالم تحيل على قضية أساسية تتعلق ببناء الموضوع في علم الاجتماع. فألان تورين يؤكد من خلال هذه القولة على أن الموضوع لا يملك وجودا مسبقا على العلم، ولا يوجد جاهزا للدراسة، وما هو موجود في الواقع الإنساني المحسوس إنما هو عدد هائل من المعطيات التي هي في حاجة إلى إدخالها في قضايا نظرية .فكما أن علم الفيزياء يدرس الذرة كموضوع إلا أنه لم ينجح مرة في عزل ذرة واحدة؛ كذلك في علم الاجتماع، لا تمثل الموضوعات كالمجتمع والظاهرة الاجتماعية والأسرة والحزب..الخ أكثر من وقائع ذات وجود غير مستقل على شكل أفكار ومفاهيم تحتاج من العالم أن يبنيها لدراستها.

وهذا ما يجعل من المهام الأساسية لعالم الاجتماع العمل على بناء موضوعه. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يبنى الموضوع في علم الاجتماع؟

إن ما يصادفه الباحث في علم الاجتماع وهو يتأمل الحياة الاجتماعية من حوله -كما أشرنا- لا يعدو أن يكون خضما من التفصيلات والمعطيات، وعددا هائلا من الأشخاص يتصرفون ويفكرون ويشعرون ويقيمون علاقات وروابط فيما بينهم. لكن العنصر الأساسي الذي يملكه هذا الباحث هو تلك الفكرة المركزية للعلم وحبكة الفهم التي يعتمدها والمتمثلة في الكل المجتمعي والانطلاق من هذا الكل المركب لفهم الأجزاء أو الأفراد.[14]

يقوم الباحث الاجتماعي، عن طريق هذه الفكرة المركزية وحبكة الفهم، فيتفحص محسوس الحياة اليومية، فيختار منها معطيات محسوسة دون غيرها، ويدمج بينها ويجردها وينظرها في تركيب يعبر عن طابعها النموذجي. ويصل في نهاية الأمر إلى موضوعه.

3)- المشكلات الإبستمية للعلوم الإنسانية والإجتماعية:

لقد كان التفكير المنطقي الذي رافق تطور العلوم الإنسانية والاجتماعية في القرن التاسع عشر محكوما كليا بنموذج العلوم الطبيعية، وأن العلوم الإنسانية تدرك ذاتها بوضوح شديد من خلال قياسها بالعلوم الطبيعية التي يضمحل فيها الأثر المثالي المتضمن في مفهوم الروح، لقد صارت كلمة "علوم الروح" كلمة شائعة بفضل مترجم كتاب "المنطق" لـ"جون ستيوارت مل"، والذي حاول في ملحق عمله أن يحدد إمكانيات تطبيق منطق استقرائي على العلوم الأخلاقية، ولقد سّمى هذه العلوم الأخلاقية بالعلوم الإنسانية، وحتى في سياق كتاب "مل" حول المنطق، يبدو جليا عدم وجود مسألة الاعتراف بأن للعلوم الإنسانية منطقها الخاص، وعلى العكس هناك ما يؤكد أن المنهج الاستقرائي -وهو المنهج الأساسي للعلم التجريبي برمته- هو المنهج الصائب والوحيد في هذا الحقل أيضا، ومن هذه الناحية ينخرط "مل" في تقليد إنجليزي منحه "ديفيد هيوم" الشكل الأشد أثرا في مقدمة كتابه: "رسالة في الطبيعة البشرية"، إذ يُعنى العلم الأخلاقية أيضا بتأسيس التشابهات والإنتظامات والامتثال للقانون.[15]

وإذا كانت هذه الخاصية المنطقية تتحقق على الوجه الأكمل — بداهةً — في العلوم الطبيعية، وعلى الأخص الفيزياء بحكم بساطة موضوعها، وعراقة ممارساتها، فليس معنى هذا أننا نَنْشُد تحقيقها، وبهذه الدرجة نفسها في العلوم الإنسانية، والتطويع وضع الآراء على سرير بروكرست*؛ « لشروط الخاصة المنطقية المقنَّنَة والمقنِّنة لا يشْبِه بحال حيث تقطع أوصالها حتى يلائمها، بل هو أشْبَه بمَمَرٍّ أو ثُقْب لا يسمح إلا بعبور ما هو علمي محتجِزًا أمامه ما ينتمي لغير العلم، ما دام كان عاجزًا عن صوغ نفسه في فرض يقبل التحقق من صحته أو كذبه.». فلسنا نطرح القابلية للاختبار والتكذيب – أي الخاصة المنطقية للعلوم الطبيعية- كهدف ينبغي إحرازه، بل هي بالأحرى مبدأ تنظيمي، لصوغ الفروض والحكم عليها بمنأًى عن التحيز والهوى وضغوط العوامل أنه مبدأ تنظيمي، كلما اقْتَرَبَتْ منه العلوم « علمية » الخارجية، فيَكْفُل الخروج بنتائج الإنسانية أكثر تآزَرَتْ جهودها أكْثَرَ لتمَثِّل متَّصِلًا صاعدًا عساه أن يَتَسَارَع.[16]

إن العلم يبدأ من مشكلات لا من ملاحظات: ((يولد العلم من مشكلات وينتهي إلى مشكلات)) ويمكن اعتبار هذا الطرح بمنزلة نقد لنظرية الحس المشترك التي أسس عليها التجريبيون المناطقة نظرياتهم العلمية القائمة على الملاحظة الحسية التي تعد نقطة بدء توصلنا إلى الفرض، في حين أن أصل المسعى العلمي عند كارل بوبر (1902-1994م) يعود إلى مشكلات لا إلى الملاحظات، العلم يبدأ بمشكلة وينتهي عند مشكلة وفق منهج المحاولة والخطأ، وبعدها تأتي عملية إنشاء نظريات علمية تمثل فروضاً مؤقتة، ثم تأتي عملية إخضاع هذه الفروض، التي وضعت دون تبرير، لأشد الاختبارات والاختبار هنا يتمثل بعملية استبعاد الحلول المؤقتة الخاطئة، ومرحلة الاستبعاد هي محرك النظريات العلمية، فبواسطتها تتم ملاحظة التقدم والنمو، ذلك عندما يتم استبعاد الحلول المؤقتة باعتبارها

خاطئة، فإن المشكلة القائمة تبقى من دون حل، وهذا، وهذا ما يعطي الفرصة لمحاولات حلول جديدة وتبقى هذه الحلول لفترة معينة، ثم تأتي حلول جديدة أخرى مغايرة للحلول السابقة فتزيحها لأنها أقوى منها، وتحل محلها وهكذا دواليك. من هنا تتضح لنا صيرورة تقدم العلم. وينبغي ان نشير هنا إلى ان تقدم العلم الحاصل مادامت المشكلة الجديدة تختلف عن المشكلة القديمة، لأن الأمر لو كان على غير هذا الوضع لوقعنا في الدور. [17] إن المنافسة القوية التي تَلْقَاها العلوم الإنسانية في صلب حلبتها، وفي صميم قضاياها وتصوُّراتها للإنسان والمجتمع على الإجمال في منطوق محتواها المعرِفِيّ داخل بنية العلم، من قِبَل بدائل ثقافية أخرى تَقَع في نطاق الظروف الخارجية للعلم هو ما نَجَمَ عنه افتقادها للإحكام المنطقي.

ومن الجهة الأخرى يتضاعف هذا الافتقاد، حين نجد حدود العلوم الإنسانية — وطبعًا دونًا عن العلوم الطبيعية — إنما هي حدود مستباحة أيضًا من قبل الحس المشترك Common sensé، أو الفهم الشائع، أي الموقف العادي للإنسان العادي. ((يؤكد هذا ما نراه في حياتنا اليومية. فكلنا أقررنا بمشروعية العلم الإجتماعي أم أنكرناه، نُصْدر أحكامنا على ما يواجهنا من مواقف اجتماعية، بل نتطرق في أحكامنا إلى الحد الذي يجعلها مصبوبة فيما يسمى بالقوالب أو الأنماط الجامدة، فنقسم البشر إلى أنماط أو أصناف تيسيرًا للحكم عليهم، وتعجيلًا باتخاذ قرارات سريعة بشأنهم؛ لأن ضغوط

الحياة لا تسمح لنا بإهدار الوقت والجهد في الدراسة المتأنية، وحسبُنا ما يتاح لنا مِنْ تَلَقٍّ مستَمِر نتلقاه من وسائل التنشئة والتربية والإعلام، فضلًا عَمَّا تُمْلِيه علينا مصالحنا المباشِرة، التي غالبًا ما تتخفى في ثوب أنيق نسيجه المبادئ، والمثل العليا، والقيم الروح)). [18]

رغم أن علم الاجتماع والعلوم الإنسانية انفصل عن الفلسفة وأصبح علما قائما بذاته ، إ لا أن الشكوك قامت حول هذا العلم، ولم يكتسب علم الاجتماع المصداقية العلمية لافتقاره لخصائص العلم والروح العلمية، وواجه بذالك علم الاجتماع عدة صعوبات يمكن تجسيدها إجمالا في النقاط التالية:

أ- مشكلة المفاهيم:

دقة العلم مستوحاة من دقة مفاهيمه، و يبقى الحديث عن دقة المفاهيم في العلوم الاجتماعية بصفة عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة غير وارد، فعلماء الاجتماع اختلفوا في تحديدهم لمفهوم هذا العلم، وهذا ما أقرّ به العديد من المفكرين ومن بينهم المفكر الأمريكي المعاصر **كريشان كومار** بقوله << ولا يستطيع المرء بالطبع طلب الدقة العلمية البالغة عند التطرق إلى المفاهيم المتعلقة بالعلوم الإنسانية إلا إذا كان فلسفيا مؤمنا تماما بالنظرة الوضعية التي لا تعنى سوى بالظواهر والوقائع دون أي تفكير تجريدي وجميع مفاهيم العلوم الإنسانية حسب العبارة المبجلة قابلة جوهريا للجدل. >> [19]

ب- التعميم

أن الوقائع التجريبية والتعميم الاستقرائي لها ليس مصدرًا منهجيًا للفرض العلمي، فهو يأتي من أي طريقٍ كان، المهم هو مضمونه، ومحتواه، وقدرته على حل المشاكل المطروحة، وإثارة مشاكل أخرى، ما دام فرضًا علميًا قابلًا للاختبار والتكذيب، مَنْطِق العلم وأيضًا منهجه لا علاقة لهما بمصدر الفرض، بل فقط بالفرض ذاته، والفرض العلمي قد يستلهمه الباحث المبدع من الملاحظة التجريبية من الأيديولوجيات والفلسفات، قد يهبط من التراث، وقد يَصْعَد من حصائل الحس المشترك، وقد يأتي من طريقٍ آخر غير هذا وذلك ...وسيكون مغنمًا عظيمًا لنسق العلم ولبنائنا الحضاري، لو استطاع باحثونا في العلوم الإنسانية استلهام تراثنا الزاخر وواقعنا المُتَطَلِّع والخروج بفروض علمية قادرة على الإحاطة بالظواهر الإنسانية، فتُثْرِي نسق العلوم الإنسانية، وتُمَكِّنُه من طرح تفسيرات أكثر كفاءة، المهم

فقط أن تصاغ من المصادر المتنوعة فروض تتحقق فيها الشروط المنطقية للسمة العلمية.[20] التعميم خاصية متوفرة في العلوم الطبيعية، لأنها تتبنى المنهج الاستقرائي فما يلازم ظاهرة طبيعية في مكان ما يسقط على كل الظواهر الأخرى، والوظيفة التي يقوم بها نبات في منطقة معينة تسقط على جميع النباتات في العالم ، لكن هذا الأمر غير وارد في الظواهر الاجتماعية، فلكل مجتمع عاداته وتقاليده ومميزاته، لذا كان التعميم غير وارد في الظواهر الاجتماعية ، وهذا ما بيّنه رايت في كتابه مبادئ علم الاجتماع ، إذ نفى وجود التعميم وألغى مصداقيته في علم الاجتماع، وبيّن أن الحياة الاجتماعية متغيّرة

وأن العلاقات الإنسانية لا تملك جوهرا ثابتا، لأنها متباينة ومختلفة لذلك لا يمكن أن يدخل علم الاجتماع دائرة العلمية. إن رايت(Wright)، يؤكد على ضرورة تجنب التعميم أثناء دراسة الظواهر الاجتماعية وهذا ما يظهر في قوله ((على الباحث أن يجتنب التعميمات السهلة في. المسائل الاجتماعية من مثل الاعتقاد أن المستهلك يتصرف وفق قوانين المنطق)).[21]

ت- الاطراد:

ولعل أشهر الصعوبات التي تختص بها العلوم الإنسانية هو ما يسمى بتفرد Uniqueness **الظاهرة**، ومحاولة التجريد والتعميم وإسقاط خصوصية وتميزها قد ينطوي على تشويه لطبيعتها. ويتصل بهذا ما يُسَمَّى بالتغيير يَجْعَل الاطراد في مجالها » السهل السريع للظواهر الإنسانية أو الاجتماعية. وكل هذا أَقَلَّ ظهورًا منه في الظواهر الطبيعية، ما يتعذر معه أن نعزل جانبًا من جوانب البحث — كما نفعل في البحوث الطبيعية — عزلًا يُمَكِّنُنا من تَتَبُّع ذلك العامل وحده في تكرار وقوعه، فإذا نحن اضطُرِرْنا إلى الاقتصار على مشاهَدة الوقائع في حالة تركيبها دون تحليلها إلى عناصرها عنصرًا عنصرًا، وَجَدْنا تلك الوقائع ذات طابع لا يحتمل لها أن تتكرر تكرارًا يتيح لنا الفرصة أن نَلْحَظ الاطراد فيها. فعالِم الاجتماع مثلًا لا يستطيع — كما يستطيع زميله العالِم الطبيعي — أن يُعيد الظاهرة التي هي موضوع بحثه، كلما أراد أن يُخْضِعَها للمشاهَدة؛ لأن الظواهر الاجتماعية فريدة في نوعها، تجيء كل كل هذه « ظاهرة منها مرة واحدة، ثم تمضي فتصبح حادثة تاريخية لا يتكرر حدوثها الفوارق بين العلوم الإنسانية والطبيعية 8 تثير الشك في إمكان وجود قوانين تَحْكُم ظواهر العلوم الإنسانية؛ أي وجود تماثلات مختلفة في أوقاتٍ مختلفة، تُسْتَعْمَل كبيِّنة على قوانين مطردة للجنس البشري في كل الأوقات، وتحت كل الظروف، وهذه التماثلات تفترض مسبقًا وجهة نظر الباحث، بالإضافة إلى أن صياغتها في قانون تحتاج عددًا كبيرًا من المتغيرات، يَبْعُد عن أن تكون دالَّة بسيطة كقوانين الطبيعة.[22]

ويمكن أن نُضِيف إلى هذه العوامل ما يُعْرَف بمُعَوِّقات البحوث الإنسانية وهي:

1. طبيعة العلاقة بين الباحث وموضوع بحْثه.
2. نوعية الظاهرة الإنسانية.

وخلاصة تفاعُل العامِلَيْن معًا يَنْجُم عنه « افتقاد الإحكام في المشروع العلمي »، حين البحث في الظواهر الإنسانية. وهذا ما اصطلحنا على أنه افتقار العلوم الإنسانية إلى التقنين المنطقي (لا سيما في المرحلة التفسيرية).

العامل الأول المختص بطبيعة العلاقة بين الباحث وموضوع البحث يتعلق بمنطق العلم من حيث تحديد وإحكام البنية المنطقية لصوغ الفروض ومِحَكَّات قبولها، أو تعديلها، أو رَفْضها بموضوعية تنأى عن التحيز والهوى والإسقاطات اللاعلمية. العامل الثاني المختص بنوعية الظاهرة الإنسانية يتعلق بمنهج العلم الإخباري، أصوليات البحث التجريبي في تعامله مع الظاهرة. والمفروض أن دراستنا هذه تَنْصَبُّ على منطق العلم،

فتحمل إمكانية درء العامل الأول، لكن التساوق المنطقي المنهجي يُلْزِمُنا بالعروج على منهج العلم ... منطق المنهج التجريبي في أكثر تطوراته حداثة التي تكشفت في ضوء ثورة العلم في مطالع القرن العشرين، ثورة النسبية والكوانتم.[23]

ولتجاوز هذه المعيقات، يجب ان يكون التفسير في العلوم الإنسانية والإجتماعية- كما أكد كارل بوبر- يتسم بسمة استنباطية وعليه فالمنهج الفرضي الاستنباطي هو المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على السواء، والتشابه الموجود بين العلوم الطبيعية والعلوم الإجتماعية في نظر **بوبر** يتم بناء على عدة خطوات هي:

1. الانطلاق من مشكلة نظرية وليس من ملاحظة حسية.
2. وحدة المنهج الفرضي الاستنباطي.
3. المحاولة والخطأ التي تمثل آلية سير العلوم وتطورها.
4. العقلانية النقدية.

كل باحث يبدأ من مشكلة تابعة من ظاهرة قد تكون طبيعية أو بيولوجية أو إنسانية، وبعد دراسة المشكلة نستنبط عدة حلول. هنا يأتي تطبيق خطوة المحاولة والخطأ، حيث توضع هذه الحلول لاختبارات نقدية. فكل العلوم في نظر بوبر عليها إتباع الخطوات السابقة.[24]

خاتمــة:

وفي الأخير مما لا يدع مجالا للشك أن العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، بقيت مرتبطة بالفلسفة من حيث التنظير والتفكير الفلسفية للعلوم الاجتماعية، ورغم من محاولات علم الاجتماع الاستقلال عن الفلسفة إلا انه بقي محتفظ بخصائصه الفلسفية، وكذلك من الناحية الابستمولوجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، لقد رأينا كيف كانت الإبستمولوجيا الحديثة أو تحاول بلورة مبدأ الحتمية العلمية، وأنه بفضلها عَرَفَت الدراسات الإنسانية كيف تَتَلَمَّس طريقها العلمي، بحيث كانت نشأة العلوم الإنسانية بُعْدًا من أبعاد النجاح الهائل للعلم الحديث وإبستمولوجيته، وذلك النجاح لا مثيل له في عالَم العلوم الإجتماعية والإنسانية.

الهوامـش:

1)- روبير بلانشي، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، تر: محمود يعقوبي، الديوان الوطني للمطبوعات الجزائرية، ط01 ، الجزائر، 2004، ص:09.

2)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3)- المرجع السابق، ص:10.

4)- زوبيدة الشيناني، موضوع، مقال منشور على الانترنيت، بتاريخ: 22 أفريل 2019، رابط المقال: https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%A7_%D9%87%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9

5)- سمير بلكفيف، إبستمولوجيا الإنسان في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة مينرفا (مج 04) العدد 04، الجزائر 2018، ص:168.

6)- إسماعيل صلاح، الابستومولوجيا الاجتماعية، مقال منشور على موقع أرشيف، بتاريخ: 16أكتوبر 2020، رابط المقال: https://mana.net/archives/2595

7)- صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الانسانية، عرض نقدي لمناهج البحث، دار التنوير، ب ط، القاهرة، مصر، 2007، ص:05.

8)- أنور علاء مصطفى، علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية(دارسة في فلسفة ميروبونتي)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ب ط، 1994، ص ص : 367، 368.

9)- المرجع السابق، ص: 381.

10)- المرجع السابق، ص: 369.

11)- حسين علي كركي، الإبستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، ب ط، بيروت، لبنان، 2016، ص:15.

12)- المرجع السابق ، ص:18.

13)- المرجع السابق، ص:21.

14)- النوي بالطاهر، عبد المالك حبي، العلوم الإجتماعية في الجامعة الجزائرية ودورها في تنمية المجتمع، مجلة الدراسات والبحوث، 10 مارس 2015، ص ص : 80، 81.

[15])- سمير بلكيفيف، إبستمولوجيا الإنسان في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مرجع سابق، ص:169.

[*] **سرير بروكرست** (بالإنجليزية: Procrustean bed) نسبة إلي الشخصية اليونانية بروكرست، حيث كان حداداً وقاطع طريق من أتيكا، وكان يهاجم الناس ويقوم بمط أجسادهم أو قطع أرجلهم لتتناسب أطوال أجسادهم مع سريره الحديدي.

[16])- يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر، 2014، ص:125.

[17])- الشريف زيتوني، وآخرون، ابستمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي، والفكر الغربي المعاصر، الناشر مركز الدراسات للوحدة العربية، ط 1، بيروت لبنان، 2017، ص: 140.

[18])- يمنى ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص: 68.

[19])- زروخي الدراجي، مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والإجتماعية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 02، المشرف: لعموري عليش، نوقشت بتاريخ: 2011، ص: 126.

[20])- يمنى ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص:137.

[21])- زروخي الدراجي، مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مرجع سابق، ص: 127.

[22])- يمنى ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص: 60.

[23])- يمنى ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص:62.

[24])- الشريف زيتوني، وآخرون، ابستمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي، والفكر الغربي المعاصر، مرجع سابق، ص: 141.